بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تتناول هذه الدراسة خصوصية النظم القرآني، وأثره على بيان وتعميق مقاصد التنزيل الحكيم، حيث ترتقي المدارك إلى آفاق البيان المعجز، بفقه أدوات الصياغة: اللغوية، والصرفية، والبلاغية.

فتتجلى آماد لا حدود لها من جلال الإعجاز، وعمق المعاني، وبعد الإيحاءات، وسمو الغايات.

وقد نوهت الدراسة بأن هذا الفهم العميق لكتاب الله يقتضي فهم الوظيفة الدلالية لكل جزئية تعبيرية في الكتاب الكريم، حتى على صعيد الاستخدام الحرفي، الذي ينهض بوظيفة معرفية مميزة لا يؤديها أي حرف آخر قد يقوم مقامه، حيث يختلف المعنى باختلاف الاستخدام. وهذا ما يدعم الارتباط الوثيق بين المقام والمقال، أو بين النظم ومقاصد التشريع؛ مما يجعلهما نسيجاً تعبيرياً واحداً؛ يتجلى على صعيد: عموم السياق، وعلى مستوى الآية الواحدة، وعلى نطاق المفردة القرآنية، ومن خلال الاستخدام الحرفي. وقد عرضت الدراسة لهذه الجوانب الأربعة، معتمدة على الشواهد القرآنية

obeikandl.com

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله.. والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه..

أما بعد:

فهذه الطبعة الثانية -بحمد الله- لكتاب الإعجاز القرآني وأثره على مقاصد التنزيل الحكيم..

والحديث في الإعجاز القرآني ليس جديداً في بابه؛ فقد تطرق إليه العلماء القدماء والمحدثون. لكن الجديد في هذا الكتاب -حسب منهجه- ما فيه من إضاءات بارزة ارتكزت على خصائص لغوية، وصرفية، وبلاغيّة جلَّتْ أبعاد الوظيفة الدلالية لشواهد الآيات، وكشفت عن مقاصد التشريع فيها.

obeikandl.com

obeikandl.com

Abstract

Abstract. This study addresses the specificity of the Quranic structure and its congruity with elucidating and deepening the aims of the Holy Book. The congruity materializes at the level of the specificity of linguistic.

Morphological. and rhetorical dimensions. Concentrating on the functional signification. the study traces this specificity at all levels of expression. even at the level of a single letter. Such congruity enhances the relation between the expression and the occasion in which it takes place; it enhances further the correlation between structure and the aims of legislation by means of which both become one single texture. Thus. congruity becomes apparent on the levels of the general context. a single verse, a single word, and even a single letter. The study, therefore. aims at drawing the objectives of legislation through Quranic structure, revealing thereby concepts of faith, social regulations. ethical values, and linguistic criteria: all coherently rendered in an autonomous unity of expression. Such is the ideally harmonious way of human life according to the laws of Allah.

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد

القرآن الكريم كتاب العربية الأكبر، ومعجزتها البيانية الخالدة، جعله الله آخر رسالاته لهداية البشرية، وتحقيق مصالحها الدينية والدنيوية.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة الآية: ٤٨)

فالقرآن هو الدستور الدائم لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض، وحجة الرسول صلوات الله وسلامه عليه، ومعجزته الكبرى، وملاذ الدين الأعلى، يُستند إليه في العقائد، والعبادات، والمعاملات.

ومن هنا تضافرت جهود العلماء في العناية به، والاستفادة منه، واتخذت هذه العناية أشكالاً مختلفة، تجلت في جمعه وتدوينه، وترتيله، وإعرابه، وتنوع أدائه، ووصف قراءاته وقرائه، وبيان محكمه ومتشابهه، وبيان ناسخه ومنسوخه، وفواتيح سوره وخواتيمها، وأسباب نزوله، إلى آخر ما هنالك من موضوعات تنضوي في ثنايا هذه الموسوعة القرآنية.

بيد أن أعلى هذه المباحث قدراً، وأعظمها شأناً بيان خصائصه التي كانت وحياً معجزاً، أتاحت لأرباب البيان استنباط علم البلاغة مأخوذين بسحر بيانه، وروعة إعجازه لما احتواه من ذروة الأداء الفني الذي لم يعهدوا نظيره في الشعر العربي. يقول محمود شاكر عن مكانة الشعر عند العرب: «هذا الشعر الذي كان حين أنزل الله القرآن على نبيه محمد ﷺ نوراً يضيء ظلمات الجاهلية، ويعكف أهله لبيانه عكوف الوثني للصنم، ويسجدون لآياته سجدة خاشعة لم يسجدوا مثلها لأوثانهم قط، فقد كانوا عَبَدة البيان قبل أن يكونوا عبدة الأوثان! وقد سمعنا بمن استخف منهم بأوثانهم، ولم نسمع قط بأحد استخف ببيانهم»[1].

ولهذا ألف في إعجاز القرآن كتب مستقلة تجلت في المصنفات الكلامية والبلاغية والنقدية، التي كونت في مجملها منظومة معرفية مازالت إلى الآن موضع المهتمين بالكشف عن أسرار الإعجاز القرآني: اللغوي والعلمي.

---

(١) انظر: مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط٤، (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٧م)، ص ٤٨.

وهو إلى جانب ذلك «مائدة يتغذى منها العقل والروح، فتتخلق منها ملكات علوية، ووجدانات ربانية، بها يسمو الإنسان ويعلو، وبها يرتفع على هذا الضعف الإنساني الكامن فيه وينتصر على هذه النزعات المندسة في كيانه»[1].

وإذا كان القرآن يمثل الأنموذج الذي عجزت أمة البيان عن معارضته فإن محصلة ذلك تبرز مكانة القرآن اللغوية، وأنه المعجزة الباقية ببقاء الرسالة المحمدية، لتبقى الرسالة محروسة بالمعجزة. وهذه الدراسة تمثل غرسة صغيرة في هذا الحقل المتسع الأرجاء، بغية فهم الجانب اللغوي، والصرفي، والبلاغي، وأثر ذلك على مقاصد التنزيل الحكيم، أو بعبارة أخرى التأمل العميق للنظم القرآني أو الإعجاز القرآني وما يتميز به من خصوصية تعبيرية تجلي آفاق البيان المعجز، فتتضح أبعاد المنهج القويم.

والنظم لغة: ضم الشيء إلى الشيء في نظام وتناسق، جاء في لسان العرب: النظم: التأليف، ونَظَمْتُ اللؤلؤ: أي جمعته في السلك، والتنظيم مثلهُ، ومنه نَظَمْتُ الشعر ونظّمتُه، وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت

(١) عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسات السابقين (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧١م)، ص٧.

بعضه إلى بعض فقد نظمتُه، والنظم: المنظوم، والانتظام: الاتساق[1].
ونظم القرآن هو: عبارته التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة[2].

أما **النظم اصطلاحاً** فلعل أفضل تعريف له ما جاء عن صاحب نظرية النظم عبد القاهر الجرجاني: «اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه «علم النحو»، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها ... فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده أو وصف بمزيةٍ وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة، وذلك الفساد، وتلك المزية، وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه...»[3].

وعلى هذا فالنظم الذي نرمي إليه هو: إبراز تآلف الألفاظ مع المعاني تآلفاً ينهض بجلاء الفكرة، وجماليات التعبير، وفق معايير معاني النحو وأحكامه، من خلال ما يحفل به التعبير القرآني من خصائص: لغوية، صرفية، بلاغية، تجلي إيحاءاته، وظلال معانيه، وسمو غاياته.

---

(١) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مكتبة النوري، دمشق، د.ت)، مادة: «نظم».
(٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، إشراف عبد السلام هارون (مطبعة مصر، ١٩٦١م)، مادة: «نظم».
(٣) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٤م) ص ص ٨١- ٨٣.

ولـدى تأمـل الـنظم القرآنـي الـذي سـنتناوله في تضـاعيف هـذه الدراسة نجده قد تمثل في أربعة مباحث: تراءى الأول منها علـى صـعيد السياق القرآني بعامة، والثاني على مستوى الآيـة الواحـدة، والثالـث من خلال المفردة القرآنية، والرابع على نطاق الاستخدام الحرفي.

وقد انضوى في ثنايا كل مبحث ثلاثة مسارات يتناول كل منها في ضوء المبحث الواحد ما يكشف عن خصوصية الإعجـاز القرآنـي بـأدوات الصـياغة؛ اللغويـة، والصـرفية، والبلاغيـة، وأثـر ذلـك في تعميق مقاصد التنـزيل المحكم.